أصول التدبر وطرق الاستنباط

د/ محمد عبد الله الربيعة

المحاضرة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. حياكم الله أيها الإخوة والأخوات، ولازلنا في مفاتيح التدبروالاستنباط العلمية، ونقف معكم الآن في هذا المجلس ببعض المفاتيح اللطيفة.

المفتاح الأول: مفتاح حروف المعاني

والمقصود بحروف المعاني هو: **الحروف التي لها معاني تتغير**. وأجمل ما في هذا الباب هو كيف أن الحرف في الآية يغير المعنى، بأن **يُضمَّن معنى آخر غيرمعناه الأصلي**، أو معناه الظاهر أو **يزيدُ في المعنى**، وسنأخذ أمثلة على ذلك:

مثال 1:

قال الله -عز وجل- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان : 6]. الأصل أن يقال"عينا يشرب منها" والله تعالى قال "عينا يشرب بها". هل يمكن للإنسان أن يشرب بالعين؟! إذاً، فما المقصود؟ المقصود أن الباء هنا جاءت للدلالة على معنى آخر، فغيَّرت معنى الفعل "يشرب" إلى معنىً آخر، بمعنى آخر ضَمَّنَت معنى "يشرب" معنىً آخر، وهو إما يتلذذ بها أو يرتوي بها، يرتوون بالعين يرتوون بمائها (بماء العين). فلاحظوا أن الفعل "يشرب" ضمَّن معنى يتلذذون و يرتوون في شربهم. إذاً هو شرب ارتواءٍ و شُربُ تلذذٍ، وليس شربَ غذاءٍ ليتميَّزَ عن الدنيا، ما الذي غيَّرَهُ؟ كلمةُ "**بها**"، إذاً، للحرف معنىً في كتاب الله أو معاني، و هذا هو المقصود بــ "حروف المعاني".

فحروف المعاني بابٌ عظيم في كتاب الله -عز وجل-، وفي اللغة أيضا، وله كتب مثل كتاب ***معاني الحروف*** لأبي الحسن الرماني، وهو من أجمل الكتب، أيضا مما يمكن أن يكون موردا لهذا الباب **التفاسير اللغوية** التي تعتني بهذا الباب كثيرا مثل ***تفسير البحر المحيط***، لأبي حيان الأندلسي، و***تفسير أبي السعود***، وكتاب ***الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون***، المشهور بتفسير السمين الحلبي ، أيضا كتاب ***مغني اللبيب عن كتب الأعاريب***، لابن هشام، وهو كتاب جميل لطيف نفيس في هذا الباب، وغيره من الكتب التي تُعنى بهذا الباب.

مثال 2:

قول الله -عز وجل- عن فرعون في غضبه على السحرة، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه : 71]، فهو لما كان في غيظ وكان في غضب ضمَّن كلامه مزيدًا من التهديد، فإنه يُفهم من ظاهر هذه الآية أن مقصوده أن يصلبهم داخل جذوع النخل، بأن يحفره ويدخلهم فيه. وليس هذا المقصود قطعا، بل المقصود هو: **أولاً**: سيوثقهم توثيقا وربطا وتقييدا حتى كأنهم في وسط الجذع. **وثانياً**: ليدلنا السياق على ما في نفس

فرعون من الغلظة والشدة والتهديد البليغ، الذي وصل حدا من المبالغة فيه فجعل الصلب في الداخل وهو في الخارج، وهذا واضح في كلام الناس.

مثال 3:

وهذا أيضا يمكن أن نأخذه في جانب آخر في حروف المعاني، يا إخواني، وهو أن الحرف له معنىً في كتاب الله -عز وجل- في الألفاظ التي جاءت بلفظ الجماعة حتى أنها لا تأتي بمعناها الأصلي مثلا :

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : 1]، لفظ "إنا" الأصل أنه لفظ للجماعة، لكنه أتى هنا بمعنىً من معاني هذا الحرف وهو: التعظيم والتفخيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ والمتحدث هو الله وحده.
- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : 1]، فـ"النون" هذه اسمها نون العظمة وليست نون الجمع، الأصل في "إنا" أنها للجماعة، ولكن لما كانت في هذا السياق خطاب من الله فهو أسلوب عظمة.

إذاً نحتاج أيها الإخوة والأخوات أن ننظر إلى معاني الحروف التي لها عدة معاني، مثلا الباء تأتي للسببية، وتأتي للمصاحبة، وتأتي أيضا اللام للتأكيد والملكية، وتأتي الفاء للظرفيَّةِ، وهو أصلها، وتأتي لغير ذلك، فلننظر إلى حروف المعاني بدلالاتها الواسعة فإنها في كتاب الله -عز وجل- تعطي دلالات وهدايات وأبواب للفهم بل أبواب للاستنباط.

من **الجوانب اللغوية** التي ينبغي أن ننظر إليها في هذا الباب **دلالات التراكيب**.

المفتاح الثاني: دلالات التراكيب

دلالات التراكيب واسعة ويدخل فيها أساليب اللغة والبلاغة والتقديم والتأخير وغير ذلك، لكننا نتحدث عن دلالات التراكيب والجمل من حيث بناء الكلمة. تبنى الكلمة أحيانا من الجملة الإسمية، أو من الجملة الفعلية، أو بتقديم وتأخير، ودلالات التراكيب علم واسع جدا في البلاغة واللغة، ومن أفضل من كتب فيه هو الدكتور محمد محمد أبو موسى في كتابه ***دلالات التراكيب دراسة بلاغية***، وهو كتاب ممتاز جدا، ومن ميزته أنه يستشهد على ذلك بالقرآن وبالشعر. ومن أمثلة هذا الباب:

(أ) دلالة التركيب بالجملة الفعلية

- من أمثلة الجملة الفعلية الدالة على الكمال: قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : 2]، قال تعالى "**الحمد** لله" و لم يقل "لله الحمد" أو "حمدا لله" لماذا؟ لأن السياق هنا للدلالة على الكمال ابتداءً، فلما كان الكمال هو المقصود والسياق هنا - والسياق دائما عمدة في كل شيءٍ في المعاني - جاء باللفظ الدال على **الكمال** وجاء بالألف واللام لاستغراق جميع المحامد. ثم قال "**لله**" وهو أبلغ من من قوله تعالى "لله الحمد" فإنه دل على الكمال ثم على الملكية، وأيضا هو أبلغ من قوله "حمدا لله" لأن قولنا "حمدا" يعني نوع من الحمد

ليس كمال الحمد، كما تقول "حمدا لذلك الرجل و لكن..!" أو"أحمدك" لكن قولنا "الحمد"معنى كمال الحمد لا يكون إلا لله. الآية تدل على أن الكمال لله وتدل على أن كمال الحمد لا يكون إلا لله -عز وجل- وتدل على أن الحمد الكامل ملك لله وحده. تصوروا كيف بلاغة هذه الكلمة ودلالاتها ودلالات هذه التراكيب.

- ومن الأمثلة أيضا على **دلالة التراكيب في الجملة**: افتتاح الآية بفعل الأمر كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق : 1]، فإن افتتاح السورة بالأمر"قل" ثم قوله "أعوذ برب الفلق" دال على أن الأمر فيه استمرار وتحديث لهذا الأمر، وهذا يؤكد معنى عظيم وهو أنك ينبغي أن تستعين أو تكون على هذه الحالة مستمرا، و لهذا يشرع قراءة السورة دائما وأبدا، قراءتها في أدبار الصلوات، وقراءتها في الصباح، فوي المساء إلى غير ذلك . إن الفعل أدل في الاستمرار من الجملة الإسمية الدالة على الثبات و الاستقرار.

(ب) دلالة التركيب بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت

- قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح : 29]، أبلغ من قوله "رسول الله محمد"، أو أبلغ من قوله كجملةٍ فعلية "أرسل الله محمدا" فإن قوله "محمد رسول الله " يعني قد ثبت له هذا الوصف فهو أقوى. **فالجملة الإسمية دائما أقوى من الجملة الفعلية لأنها تدل على الثبوت، والجملة الفعلية تدل على التغير والتجدد كحال ماض أومستقبل أو حادث أو مستقبل.**
- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص : 2]،جملة إسمية دالة على الثبوت والاستقرار والكمال.

إذن، تركيب الكلمة من الجملة الإسمية أو الفعلية له دلالات، نستنبط من خلالها هدايات ودلالات واسعة.

(ج) دلالة التراكيب بالافتتاح

دلالة التراكيب بالافتتاح تعني افتتاح الجملة أو الكلام، يعني مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر : 1]، هذا افتتاح التعظيم، افتتح التركيب بنون العظمة "إنا" ثم تلته الجملة الفعلية.

إذن، هذان المفتاحان (حروف المعاني، ودلالات التراكيب)، من المفاتيح المهمة التي ينبغي أن نعتني بهما، ويمكن أن يدخل فيهما أبواب مختلفة كما سيأتي في أبواب الأساليب البلاغية،

ننتقل بعد ذلك إلى باب عظيم ومفتاح لطيف يمكن أن ندخل من خلاله إلى لطائف ودقائق وهو: **أساليب البلاغة.**

المفتاح الثالث: أساليب البلاغة

هي من المفاتيح الهامة ولها ارتباط أيضاً بدلالات التراكيب. وأساليب البلاغة متنوعة، منها:

- الخطاب القرآني.
- الأسلوب القرآني في الترغيب والتهديد.
- الحذف.

- التقديم و التأخير.
- الاستفهام.
- القسم.
- أساليب التأكيد.

دعونا نأخذ هذه المفاتيح مفتاحا مفتاحا بقدر ما يتيسر له الوقت والمقام.

الخطاب القرآني، يعتبر الخطاب القرآني من أهم وأعظم المفاتيح البلاغية المهمة، بكونه خطاباً للنبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة، وخطاباً للمؤمنين عامة، وخطاباً للكافرين، وخطاباً للمنافقين، وخطاباً لبني آدم، وخطاباً للناس. فتأملوا معي حينما يأتي الخطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- مناسبا للمقام:

1. في جانب الرعاية والتربية يأتي بلفظ {**يا أيها النبي**}

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم : 1]، تربية له في جانب قضية ارتبطت بالجانب التربوي والجانب الاجتماعي والأسري،
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب : 1]، ارتبطت أيضا بتعامل.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق : 1]، ارتبطت أيضا بتعامل وهي قضية الطلاق.

2. لكن حينما يأتي الخطاب بالرسالة وبالتبليغ يأتي بلفظ {**يا أيها الرسول**}

- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة : 67]،
- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة : 41]، لأنها في سياق التبليغ والدعوة، فإذا كان السياق في خطاب الدعوة والتبليغ جاء الله -عز وجل- بلفظ "يا أيها الرسول"، أما إذا كانت في سياق التربية والعناية جاء بخطاب النبي بالنبوة "يا أيها النبي"، "يا أيها النبي لم تحرم"، "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساءالمؤمنين" ، وهكذا.

حقيقة حينما نتأمل هذا الخطاب الرباني العجيب للنبي -صلى الله عليه وسلم- في تنوع خطابه دل على أن لخطابات القرآن أسرار وبديع لطائف نستطيع أن نستنطقها من خلال التأمل.

3. **نداءات المؤمنين فيها عناية ربانية:** حينما يأتي الخطاب للمؤمنين تأتي العجائب في أسرار هذا الخطاب للمؤمنين، لاحظوا أن كثيراً من التشريعات تفتتح بالنداء:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]،
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]،
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: 178]،
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: 11]،
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وجاءت في أكثر من موضع.
- هذه النداءات من الله عز وجل للمؤمنين نستخلص منها فوائد ولطائف في الأسلوب التربوي، وفي عناية الله بالمؤمنين، وفي بواعث الأمر. لاحظوا يا إخواني الكرام لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ فإن المقصود ما يرغِّبُهُم لأخذ وتلقي هذا الأمر، وإلا فلو أنه سبحانه قال "كتب عليكم الصيام" وانتهى لقضي الأمر، ولكن من حكمته ورحمته وعنايته بالمؤمنين بعباده يناديهم، خطابه خطاب رقيق "يا أيها الذين آمنوا" لطيف، ثم قوله بعد ذلك ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني لستم وحدكم، ثم قال ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أردف ببيان الغاية من هذا الحكم أيضا ففيه ترغيب، أيُّ خطاب أعظم وأبلغ من هذا الخطاب، والله لا تجد مسؤولا ولا تجد كبيرا بل قد لا تجد أبا إلا من رحم الله يعتني بخطابه لأبنائه وموظفيه، يخاطبهم بهذا الخطاب الرخيم اللطيف في التكليفات، ما أرحم الله وألطف الله -عز وجل- في عنايته بالمؤمنين. لاحظوا يا إخواني خطاب الله تعالى للمؤمنين في أكثر من موضع:
- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، بالله عليكم واحد أسرف، لم يكتف بالذنب فقط، بل أسرف وأخطأ كثيرا، كيف نعامله نحن؟ لو أخطأ عليك شخص أسرف في الخطأ عشر مرات كل يوم يخطئ في حقك ، ليس مرة أو مرتين أو ثلاثة، فهل تجد في نفسك من القبول والإقبال عليه والعناية به والرأفة به أن تناديه يا حبيبي؟! لا تجد ذلك إلا ممن رحم الله، لكن ربنا -عز وجل- الرحيم بعباده، الرؤوف اللطيف سبحانه وتعالى يقول قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عجيب جدا في هذا الخطاب، والله إنك ستجد شيئا من العجب فتقول في نفسك حقا إنه ﴿قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، يأسرك في هذا الخطاب.
- عندما يقول الله -عز وجل- ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: 27]، لاحظ لفظ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ و﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ هنا ربطهم الله تعالى بقصة أبيهم، فلما ربطهم بقصة أبيهم ناداهم بندائهم المرتبط به ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ولم يقل أيها الناس.

أرأيتم كيف يعالج الخطاب القرآني الأمر بمناسبة، يأتي باللفظ المناسب في المكان المناسب، حقا إنه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾.

4. **خطاب الله عز وجل للكافرين والعصاة**: في مقابل خطاب الله -تعالى- للمؤمنين، تجد الخطاب للعصاة أو للكافرين، انظر كيف خاطب الله -عز وجل- الكافرين، ستجد أن الخطاب للكافرين أحيانا يأتي بلفظ أو بأسلوب **الترغيب**، و أحيانا يأتي بأسلوب **الترهيب والتهديد**.

- **بأسلوب الترغيب** كما في قوله تعالى :
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء : 1]، فهذا خطاب للناس جميعا بأسلوب الترغيب "اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة "
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : 21]، هو خطاب لهم مع أنه يدخل في ذلك الخطاب "الكافر" إلا أنه خطاب باعث.
- **بأسلوب الترهيب والتهديد** لكن حينما تجد خطابه سبحانه وتعالى للكافرين **تهديدا**، فإنك تجد خطابًا شديدًا وعنيفًا ولا يصفهم بالنداء، كما في قوله تعالى:
- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : 1]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : 8]، هنا الحديث خطاب مباشر في التهديد والوعيد.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : 32]، يعني هنا الخطاب تجده مجرد عن كل تلطف، لماذا؟ لأنهم أصروا على الكفر.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة : 6-7]، خطاب عنيف ليس فيه رحمة، لماذا؟ لأنهم أصروا على الكفر، فخطاب عجيب هذا الخطاب للكافرين.

5. **في خطاب الله عزوجل للمنافقين:** لقد أغفلهم الله -تعالى- كما أنهم أخفوا كفرهم وأعلنوا إيمانهم قال تعالى:

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : 8]، لم يقل الله -عز وجل- "والمنافقون" وإنما قال "ومن الناس" خطاب لهم بما هم عليه من إخفاء كفرهم.

خطاب القرآن يا إخواني بليغ، يحتاج منا إلى نظر وتأمل، والكتب التي تعتني بالخطاب القرآني كثيرة، أذكر منها رسالة دكتوراه طبعت في هذا المركز، مركز تفسير، ***خصائص الأسلوب القرآني*** للدكتور أبو بكر بخيت، رسالة لطيفة وجميلة وتجعلك تتعايش مع أساليب القرآن.

سنتحدث أيضا بإذن الله عن أساليب القرآن في الترغيب والتهديد والوعد والوعيد ونحو ذلك في لقاء قادم.

وفق الله الجميع وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين وحياكم الله.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات:

- **عبير معتوق شلبي**
- **رغد**

المراجعة والتدقيق: **خلدون الأتاسي**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة النهائية، والتدقيق وضبط الصياغة، والإخراج النهائي:

رئيفة درويش



أصول التدبر وطرق الاستنباط

د/ محمد عبد الله الربيعة

المحاضرة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حياكم الله أيها الإخوة والأخوات في هذا المجلس الذي نجدد فيه اللقاء في أصول الاستنباط وطرق الاستنباط.

قد تحدثنا عن قواعد ومفاتيح للتدبر والاستنباط، من أهمها المقاصد، والمناسبات، واللغة، وأساليب البلاغة، ونواصل الآن الحديث عن **اللغة**، واللغة بابها واسع بل أبوابها كثيرة والمدخل للتدبر من خلالها لا حدود له، ولذلك أعتبر أن الانطلاق من اللغة بجميع أساليبها وقواعدها وأصولها بابٌ عظيمٌ للدخول إلى باب التدبر والاستنباط.

دلالة التعريف والتنكير

من أساليب اللغة ومن الدلالات اللغوية المهمة في باب التدبر والاستنباط **دلالة التعريف والتنكير**، فلذلك بالنظر الدقيق إلى الآية واللفظ والتأمل سنجد معان قد تكون خفية، وقد تكون أسرار تحتاج إلى استنطاق من الآية بالنظر إلى التعبير بالتنكير والتعريف.

✓ دلالة التعريف

- حينما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الْإِخْلَاصِ: 1]، فالتعريف بالله دال على إحضاره في الذهن وتعظيمه، وضمير الشأن يؤكد ذلك، ضمير الشأن "هو"، ولو قال تعالى: "اللَّهُ أَحَدٌ" لثبت المعنى، ولكنه ولإحضاره في الذهن وتفخيمه وتعظيم أمره جاء بضمير الشأن هنا .
- قال الله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لُقْمَانَ: 11]، نجد هنا أن التعريف بهذه الإشارة هو تأكيد وإشارة وإشادة واستحضار للذهن بما أشارت إليه "هذا" في قوله تعالى "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ" .
- ومثال ذلك أيضًا التصريح بذكر التعريف بذكر أبي لهب في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [الْمَسَدِ: 1]، التصريح بلقبه، ونجد أن كثيرا من الآيات لا تصرح بأسماء المشركين إلا هذه الآية يعني مثلاً في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النَّجْمِ: 33-34]، من هو هذا؟ لم نقرأ اسمه، فهناك التنكير تغفيلا له ولمن شابهه، وهنا في تعريف أبي لهب والنص والذكر لاسمه لكونه أول المعاندين القريبين من النبي -صلى الله عليه وسلم- فتوعده بذكر اسمه وخصوصيته لما كان له من الأثر في الصد عن سبيل الله.

✓ دلالة التنكير

- **التنكير قد يراد به التعظيم**، مثل قول الله -عز وجل-: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةِ: 279]، فنكَّر لفظ "حرب" ولم يُعرِّفها، وأيضا في قوله

تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصَّافَّاتِ : 109]، نكَّر السلام ليعم وللتعظيم أيضا، فهو سلام عام، ولا شك أن النكرة في سياق الإثبات تفيد العموم، فيه تفخيم وفيه تعظيم. ونأخذ من ذلك دلالات مستنبطة وهي: تعظيم الله لأنبيائه، وسعة سلامه عليهم، ودلالة ذلك في سعته وتنوعه، وغير ذلك أيضا.

- قد يكون **التنكير للتحقير**، كما في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عَبَسَ : 18]، هنا في قوله " شَيْءٍ" نكرة هي في سياق التحقير، ومن ذلك نأخذ دلالات مستنبطة وهي: حقارة الإنسان في أصل خلقه مما يبعثه على النظر إلى ضعفه في أصل خلقه وإلى احتقاره في أصله، مما يبعثه إلى ألا يستكبر، إذن، النظر في التنكير ومعناه في الآية يدلنا على معان مستنبطة ودلالات وهدايات.

دلالة التقديم والتأخير

✓ دلالة التقديم

- من الدلالات اللغوية دلالة **التقديم والتأخير**، وهذا بابٌ عظيمٌ جداً من أعظم أبواب البلاغة. والتقديم والتأخير في كتاب الله -عز وجل- معتبر، ولكن بحسب السياق، وغالباً ما يكون التقديم إما للأهمية أو للخصوصية، للاختصاص.
- **التقديم للاختصاص:** مثل قول الله -عز وجل-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةِ : 5]، ما قال "نعبدك" وإنما قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ، فقدم الضمير المنفصل "إياك".
- **التقديم للحصر:** في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزُّمَرِ : 66] ولم يقل فاعبد الله،
- وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .. ﴾ الآية [الْمَائِدَةِ : 23]، في تقديم المعمول للدلالة على الحصر. وهذا باب واسع في كتاب الله -عز وجل-. فتأملوا أيها الإخوة كيف استنطقنا الآية بدلالات واستنباطات من خلال هذا التقديم، فدلنا ذلك على كمال العبودية لله، وأن التوكل لا يكون إلا عليه، وأن العبادة لا تكون إلا له سبحانه وتعالى، وغير ذلك من المعاني المستنبطة من خلال هذا التقديم.
- **التقديم للترتيب:** التقديم قد يكون للترتيب، يعني يتم تقديم لفظ على لفظ لترتيبه عليه، بمعنى أن هذا يأتي أولا ثم ثانيا ثم ثالثا، مثل قول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الْأَحْزَابِ : 35]، هذه مراتب عليا ترتقي.
- ولهذا الترقي أيضا قول الله تعالى في سورة التحريم: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التَّحْرِيمِ : 5]، فهذا الترتيب من تقديم المسلمات لأنه يدل على الأمور الظاهرة، والمؤمنات دال على المعاني الباطنة والقنوت دال على العبادات الدائمة وهكذا.

فالنظر أيها الإخوة والأخوات إلى التقديم والتأخير بحسب سياق الآية يعطينا فسحةً في استنطاق الآية بدلالات وإشارات.

دلالة الحذف

من الدلالات اللغوية المهمة العظيمة، أنا أعتبرها حقيقة أنها تعتبر أوسع دلالة لغوية وأكثر دلالة لغوية في كتاب الله -عز وجل- هي **دلالة الحذف**. والحذف في كتاب الله -عز وجل- السر فيه أن القرآن واسع المعاني فالحذف يدل على معان كثيرة . يقول الجرجاني في دلالة الحذف: "باب الحذف بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، شبيه بالسحر"؛ لأنه حقيقة إما يختصر الكلام، وإما يقلل من شأن الأمر، وإما يعظم، وإما يبين سرعة الشيء وأهميته، إلى غير ذلك.

- **الحذف لسرعة التنبيه والبيان**: خذوا مثلاً قول الله -عز وجل-: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشَّمْسِ : 11-13]، فالأصل أن يقول: احذروا ناقة الله وسقياها، ولكن لأن الأمر استدعى سرعة التنبيه، وكأن صالح -عليه السلام- من سرعة تنبيهه وتحذيره قد أسقط كلمة أو سقطت منه كلمة فقال: ناقة الله. ولذلك أنت حين تنبه على شيء قد لا تقول انتبه وإنما تقول الأمر الفلاني الذي تريد التحذير منه، مثل قولك: السيارة، فالأصل أن نقول احذر السيارة ،أو السيارة مارة، أو السيارة مسرعة.
- والحذف في كتاب الله -تعالى- على هذا الوجه بليغ جدا وتجد من ورائه معان. فمثلا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ في ذلك ما يؤكد حرص الأنبياء وخوف الأنبياء على قومهم، وفي ذلك من الدلالات المستنبطة ما يؤكد أن الداعي ينبغي أن يكون مبادراً قبل أن يبادر المدعوين بعقوبة، وألا يؤخر الجواب والبيان عن وقته، وغير ذلك من الدلالات التي تشير إليها الآية إشارة.
- **الحذف للتفخيم**: أحيانا يأتي الحذف للتفخيم، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه : 78]، والمعنى هو: فغشيهم الله تعالى به من العذاب ما غشيهم، حذف ذلك لتفخيم هذا الأمر وتعظيمه،
- **الحذف للتخفيف**: مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الْفَجْرِ : 4]، ولم يقل "يسري"، هذا التخفيف في اللفظ ليجري على اللسان بسهولة، ولذلك قال تعالى: فإنما يسرناه بلسانك، ومن ذلك أنها تسهل بعض الألفاظ لسهولتها في النطق .
- **الحذف لتوسيع المعنى**: من أعظم دلالات الحذف، التوسيع ،توسيع المعنى، مثل قول الله -عز وجل -: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التَّكَاثُرِ : 1]، لم يقل التكاثر في المال، ولم يقل القصور، ولا الأولاد، ليعم أي تكاثر. وهذه من دلالات

العموم. ومثله الحذف في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، بماذا؟ وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، بماذا؟ فالحذف هنا لتوسيع أمر المعنى، وليقع الذهن مواقع واسعة في دلالة الكلمة.

دلالة الإضمار والذكر

- من الدلالات اللغوية **دلالة الإضمار والذكر**، وقد سبق وأن ذكرنا شيئا من هذه الدلالة، ولكن نؤكده.
- **الإضمار لأمر معلوم:** نجد الإضمار مثلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الْقَدْرِ: 1]، ما هو الذي أنزله الله تعالى في ليلة القدر؟ تفخيما له أضمره لأنه من الأمر المعلوم. وهذا مما يمكن أن يستنبط منه دلالات: أن الأمر المعلوم لا يحتاج إلى ذكر أحياناً، وأيضا مما يستنبط من هذه الآية، من الدلالات، أن من أنكر شيء معلوم فلا حجة له ولا دليل عليه لأنه إذا كان الأمر معلوم مستقر كطلوع الشمس من مشرقها، فهذا يعني لا يقبل عذره، وهكذا.
- **الإضمار للتحقير:** مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.. الآية [الْأَعْرَافِ: 27]، ما قال إبليس هو يراكم هو وقبيله، تحقيرا له. وفي ذلك من الدلالات المستنبطة من هذه الآية: أن الله -عز وجل- يحقِّر شأن الشيطان إكراما لآدم وذريته، وهذا من كمال عنايته ببني آدم أن الله -تعالى- أهان إبليس وأذله فكيف بهؤلاء القوم من ذرية آدم أن يتبعوه ويتخذوا سبيله طريقا.
- أحيانا قد يصرح بالضمير للمبالغة في التحقير أو الإشادة والذكر مثلا قول الله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الْمُجَادَلَةِ: 19]، فهنا في موضع الإضمار ذكر وكرر وأعاد، للتأكيد أو التحقير له، ولبيان خطورته، أو لتأكيد أن هؤلاء لا قدر لهم أو لا قيمة لهم، أو أنهم أمرهم سافل أو منتهي.
- ومن دلالات الحذف أيضا **الإضمار والذكر**، مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: 78]، فلماذا أعاد ذكر قرآن الفجر؟ إشادة به وتأكيدا عليه وتنصيصا عليه، وهذه من الأشياء التي يمكن أن تكون موضع استنباط، أن كل ما ذكره القرآن من مواضع الصلاة فهو ركن، فكل ما ذكره القرآن من مواضع الصلاة، من القيام، وقرآن الفجر ،والركوع، والسجود، كلها أركان، وهذا دليل على أن القرآن لا يذكر إلا الأهم في الصلاة،
- مثلا في **دلالة الذكر والحذف** في قول الله -عز وجل-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: 64]، ولم يقل واستغفرت لهم، فلماذا جاء بدل الضمير بذكر وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: الرسول؟ للإشارة إلى أن الاستغفار يكون من الرسول عظيم، فلماذا تركوه وأعرضوا عنه.

- ومثلا في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾.. الآية [الْأَحْزَابِ : 50]، لم يقل "لك"، مما يدل ويستنبط منه أن هبة المرأة نفسها لأحد لا تجوز إلا للنبي -صلى الله عليه وسلم- فهي من خصوصيات النبي لكونه نبي. وفي أول الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الْأَحْزَابِ : 50]، وأزواجه عليه الصلاة والسلام تسع ولا يجوز لغيره أن يكون على مثل حاله في عدد الزوجات.

دلالة العطف

- من الدلالات اللغوية، أيها الإخوة والاخوات، **دلالة العطف**، وهذا بابٌ واسع، كالعطف بالفاء والواو وبثم وبغير ذلك.
- فالفاء تدل على التعقيب مثلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الْكَوْثَرِ : 1-2]، إذن هذا يدل على وجوب مباشرة الشكر للنعمة بأن تكون عقبها مباشرة فالفاء للتعقيب. والواو قد تكون للترتيب أو تكون للتخيير، بينما "ثم" للتراخي، وهذا في القرآن كثير لو استقرأناه لوجدنا دلالاته ظاهرة.

دلالة الترادف والفروق

✓ دلالة الترادف

- من أبواب الدلالات اللغوية التي تحتاج منا إلى نظر، أيها الإخوة والأخوات، **دلالة الترادف والفروق**. والترادف هو أن تكون الكلمة بمعنى الكلمة الأخرى ولكن ليس من جميع الوجوه، أي ترادفها. فهل الفلق بمعنى الصبح من جميع الوجوه؟ لا، لذلك قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "الترادف في القرآن قليل إن لم يكن نادرا، نادر إن لم يكن معدوم"، ولماذا هو معدوم؟ لأن الكلمة القرآنية في سياقها تدل دلالة غير دلالة الكلمة الأخرى، وأن كانت في معناها، لذلك المفسرون قد يفسرون بالترادف لأن وصف الكلمة قد يطول. مثلا في قول الله -عز وجل-: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطُّورِ : 9]، قال المفسرون: يوك تمور أي يوم تتحرك، والمور غير الحركة، ولكنهم فسروها بأقرب معنى لها تقريبا للمعنى، وإنما المور هو الحركة السريعة الخفيفة. والترادف فيه فائدة وهو أن يؤتى بالكلمة وزيادة، يعني لم يقل يوم تتحرك بل تمور فهو حركة خفيفة يسيرة أو سريعة.
- ومن أفضل الكتب التي تكلمت عن الترادف والفروق بين الألفاظ كتاب ***الفروق اللغوية*** لأبي هلال العسكري، ومن الكتب الجميلة المعاصرة ***لمسات بيانية*** للدكتور فاضل السامرائي،ومن المعاجم المهمة في هذا الباب ***كتاب المفردات*** للراغب الأصفهاني، فهو يهتم بالكلمة وسياقها، بمعنى أنه يورد الكلمة بمعناها المناسب للسياق حتى يتبين الفرق بينها وبين غيرها.

✓ دلالة الفروق

- من أمثلة دلالة الفروق، الفرق بين الخوف والخشية، فما الفرق بينهما؟ الخشية أعلى من الخوف، فالخشية فيها تعظيم ورقة نفس أو اعتراف بالخطأ، ولذلك لا تكون إلا لله -عز وجل- دون غيره، كما قال الله -عز وجل:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾... الآية [التَّوْبَةِ: 13]، وكما قال الله -عز وجل-: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.. الآية [الرَّعْدِ: 21]، فلاحظ أخي الكريم كيف أنه سبحانه وتعالى نسب الخشية والخوف من سوء الحساب إليه سبحانه وتعالى، فدل على أن الخشية لا تكون إلا لله -عز وجل- فهي أدق من الخوف، والخوف قد يكون أوسع، ولكن الخشية معها تعظيم واعتراف بالخطأ.

- ومثال آخر: الفرق بين أتى وجاء، "أتى" غالبًا أو دائمًا تكون للمعاني والأزمان، و"جاء" غالبًا تكون في الظواهر والأعيان، مثل في قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الْفَجْرِ: 23]، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النَّحْلِ: 1].

لعلنا نقف هنا ونواصل في المجلس القادم ما بقي من الدلالات اللغوية، ثم ما بعدها من الدلالات الأصولية، دلالات الألفاظ.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى وبارك الله فيكم ونفع بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات:

أخت في الله

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي:

رئيفة درويش



أصول التدبر وطرق الاستنباط

د/ محمد عبد الله الربيعة

المحاضرة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. حياكم الله أيها الإخوة والأخوات. نتابع الحديث عن الدلالات اللغوية والأساليب البلاغية كمفتاح من مفاتيح التدبر والاستنباط العلمية.

الدلالات اللغوية لها أثرها في الإستنباط، أو نستطيع أن نقول أنها طريق لنا إلى التدبر والإستنباط. وهي من الدلالات الواسعة التى لا حصر لها سواء في دلالاتها على المعنى أو دلالاتها على الإستنباط، ونتناول بالحديث دلالاتها على الإستنباط، أما المعنى فله أبوابه. ومن الدلالات اللغوية ما يلي:

دلالة الرسم

- هذا الباب، باب رسم المصحف هو باب واسع و له أسراره و دلالاته، ومن أمثلته:
- قول الله -عز وجل-: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّاعَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: 11]، الإشمام في كلمة ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ له علاقة بالنطق دون الرسم، وضم الشفتين في قوله تعالى ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ يُشير إلى معنى يريده أو يبطنه هؤلاء الإخوة، وهو أنهم قالوا ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ وفي داخل أنفسهم يقولون لو علمت ما في قلوبنا أو في أنفسنا ما أمنتنا، فقولهم هذا يخالف ما في نفوسهم، وهذا شئ أشار إليه الرسم و أشارت إليه القراءة بالإشمام.
- فهذا الباب في الحقيقة لذيذ و ظريف و فيه دراسات كثيرة ، والواقع أننا الآن في هذا الوقت قد كثرت فيه الدراسات المعتنية بهذا الباب ، وقفت على دراسة منها للدكتور "غانم قدوري"، تعطى اللفظة في الرسم و دلالته في المعنى، وهو له عناية كثيرة بهذا الباب يمكن النظر في كتبه، وقد طبع مركز التفسير جزء منها .

معانى الأدوات و الحروف

من الدلالات اللغوية المهمة جداً والتي سبق أن ذكرنا شيئاً منها: معرفة معاني الأدوات والحروف. باب معانى الأدوات والحروف بابٌ واسع وعظيم ينبئك على أساليب من التعبير ودلالات للحروف والأدوات لا تجدها في كتاب مثل كتاب الله -عز وجل- وإن كانت تُستخدم في أساليب العرب ولكنها مستفيضة في كتاب الله. ومعانى الأدوات و الحروف يمكن أن ندخل من خلالها إلى الإستنباطات.

- قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]، ماذا تدلنا "**على**" و"**في**" ؟ دل قوله تعالى ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ أن من كان على هدى فهو مستعلٍ، مستعلٍ في منزلته وفضله وكرامته عند الله -عز وجل-، ولذلك قال "على هدى"، فمن كان على هدى فله الإستعلاء ، فنستنبط من ذلك الاستعلاء علو أهل الأيمان،

وعلو أهل الحق. وفي قوله ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ يعنى انغماسهم في هذا الضلال وانغماسهم في ظلماته فعبر بـ"في" و لم يقل "على" ضلال، فمن كان على ضلال فهو لا يعلو عند الله -عز وجل-، فعبر بـ"في" للدلالة على الانغماس و"في" هنا "للظرفية".

- قوله -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : 60]، قال: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، لماذا أختلف اللفظ أو الصيغة أو التعبير عما سبق؟ للدلالة على أن الرقاب لهم حظ في هذا و كأنهم إناء، "**في**" جاءت **للظرفية**، كأنهم إناء يحتاج إلى هذه الصدقة للتأكيد على حقهم، وإن كان تقديم الفقراء أولى منهم و لكن ليُشعر بأهمية هؤلاء الذين يحتاجون أن ينفكوا من الرق فخصهم بقوله ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، لأنهم يحتاجون لأن يجمعوا الصدقات ليَفُكوا عن أنفسهم الرق بالمكاتبة فكأنهم هم إناء يجمعون الأموال والزكوات لتحقيق ما أرادوا. انظر إلى هذا التعبير البليغ البديع في دلالة اللفظة غير دلالة الحُكم، دلالة اللفظة من حيث الاستشعار بأهمية الأمر.
- و قول الله -عز وجل- حكاية عن يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف : 100]، و لم يقل "أَحْسَنَ إِلَيَّ" مثلاً، كأنه يقول: أحسن بى أنا بذاتى في كل أمرى إذ أخرجنى من السجن، فهو أبلغ في قضية شعوره بإحسان الله -عز وجل- عليه، إذ أنه هو ذاته و جسده و حياته كلها إحسان من الله -عز وجل-.
- قول الله -عز وجل- : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء : 37]، الأصل أن يقول "ولا تمشِ على الأرض"، فلما كان المقصود ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ﴾ من التبختر الكبرياء أنه ينغمس في الأرض بثقل، فشعوره أنه ثقيل في الأرض منغمس فيها، أو أن المقصود - والله أعلم - أن لا يكون سعيك لأجل الأرض والأمور الدنية، ولكن قوله مَرَحًا يدل على المعنى الأول أوضح، وكلاهما على كل حال مكمل لبعض لأن من كان همه الدنيا يستكبر بها.

الأدوات اللغوية، أيها الأخوة، لها معانى أصلية ولها معانى تابعة ، مثلاً:

- **اللام** أصلها للمِلك ولكنها تأتى للإختصاص والتبيين والتعليل والصيرورة.
- **الباء** للإلصاق مثلا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾، و تأتى للمصاحبة ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، وتأتى للاستعانة، والظرفية، والإستعلاء، والتبعيض، أو تأتى للشك أصلا، و تأتى أيضا تبعاً للإبهام والإباحة ، والتفصيل والإضراب، وغير ذلك.

إذاً ننظر لدلالات الحرف الأصلية ثم إستخدامها في غير دلالتها الأصلية فإن وراء ذلك من المعانى و الدلالات والإشارات ما يستنطقه اللبيب بفهمه و تدبره واستنطاقه.

أيضاً من الأشياء المهمة في الأدوات أن تفهم الفروق بين الأدوات المتقاربة، فهناك أدوات متقاربة وهذه الحقيقة تحتاج إلى مجهر من النظر والإستنباط و التدبر الدقيق

ما الفرق بين "إذا" و"إن"؟

- قول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة : 6]، لم يقل "إذا كُنتُمْ جُنُبًا" ما الفرق بينهما؟ جاء بـ **إذا** مع الوضوء والقيام للصلاة، لتكرار القيام وتكرار الوضوء، وجاء بـ **إن** في قوله ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ لأن الجنابة نادرة مقارنة بالوضوء ومقارنة بالقيام للصلاة، حال القيام للصلاة أمر الجنابة فيه يحصل نادراً أو قليلا، و لذلك قال **إن** لأنها أقل دلالة على معنى التكرار و ندرته.
- قوله -عز وجل-: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف : 131]، ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾،بمعنى أن الحسنات تأتيهم كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، لكن في السيئة قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، يعنى ستصيبهم سيئة ولكنها قليلة لا تقارن بالنسبة للحسنات، كما قال -عز وجل-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، بشئ يعنى بالنسبة لما يأتيكم من الأمن فهو شئ من الخوف.
- إذاً، الإتيان بـ"إذا" للدلالة على "الكثرة" والإتيان بـ"إن" للدلالة على "القلة" (تقليل الشئ)، إذا اجتمعتا .
- قوله -عز وجل-: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [يونس : 21]، لاحظوا أنه أتى بـ **إذا** في الحسنات و الرحمة و أتى بـ **إن** في السيئة و المصيبة.

ما الفرق بين "إلى" و"حتى"؟

"إلى" و"حتى" كلاهما للغاية والنهاية، ما الفرق بينهما؟ والفرق هو أن "**إلى**" تقف عند نهاية العمل مباشرة، و"**حتى**" تستغرق إلى نهاية العمل يعنى إلى نهاية الأمر. يعنى وصلت **إلى** كذا، قد تكون وصلت إلى بدايته، لكن **حتى** كذا وصلت إلى غايته و نهايته فاستخدام "**حتى**" عندها أبلغ.

- قوله -عز وجل-: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة : 187]، "**حتى**" هنا للدلالة على التأكد من بيان الفجر، حتى لا تأخذه بالظن،أي كلوا وأشربوا حتى يتأكد لكم خروج الفجر وطلوعه، لكن بالنسبة للصيام قال :﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، قال هنا **إِلَى** اللَّيْلِ، وما قال **حتى** الليل، لو قال " ثم أتموا الصيام **حتى** الليل"، أى حتى نهاية الليل، يعنى بالمواصلة، الوصال، لكن المقصود هنا إلى بداية الليل وهو عند غروب الشمس، فتأملوا أيها الأخوة الفرق بين "إلى" و "حتى".

دلالة التضمين

من الدلالات اللغوية المهمة أيضاً: **دلالة التضمين**. وهو باب واسع، دقيق، بليغ، عظيم ، لذيذ. والتضمين يكون في الأسماء والأفعال والحروف وكثيراً ما يكون في الأفعال.

- مثلاً قول الله -عز وجل-: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ [ص : 24]، قال: إِلَى نِعَاجِهِ وما قال "بسؤال نعجتك **مع** نعاجه"، للدلالة على ماذا؟ للدلالة على الحيازة التامة في ذلك، يعنى معنى الجمع والحيازة التامة.
- قوله -عز وجل-: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الاسراء : 73] ، قال تعالى: ﴿يفْتِنُونَكَ﴾ ولم يقل "يصدوك" للدلالة على الفتنة والصد
- قوله -عز وجل-: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء : 77] ، يعنى نجيناه.
- قوله -عز وجل-: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الانسان : 6]، ما قال " يشرب منها" للدلالة على أن هذا الشرب هو زيادة إرتواء و إمتلاء.
- قوله -عز وجل-: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة : 14]، ما قال "خلوا مع شياطينهم" و هنا لم يقل "ذهبوا" بل قال "خلوا" فدل على الذهاب، ودل على معنى آخر وهو الخلوة التامة والخفاء في ذلك، أو إلى معنى آخر "خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ" أن ذهابهم إلى شياطينهم كان أدخل في العلاقة مع شياطينهم وأقرب وأكثر قبولاً وتودداً، إلى غير ذلك، ولذلك قال "إلى شياطينهم" ولم يقل "معهم"، توجهوا إليه في إتجاهاهم وخلوا معهم .

فأنظر يا أخى الكريم، دلالة التضمين، تضمين الحرف لمعانٍ أخرى، و تضمين الأسم لإسم آخر، و تضمين الفعل لفعل آخر، دل على سعة في معانى كتاب الله -عز وجل- مما يؤكد أهمية ذلك.

وأخيراً أيها الأخوة وهو ختام المسك، **للدلالات اللغوية** وأثرها في الإستنطاق والإستنباط، هناك دلالة السياق.

دلالة السياق

دلالة السيق من الدلالات المهمة، والسياق نوعان: داخلى، وخارجى:

- السياق الخارجى: هو الأحوال التى حفت بها النزول
- السياق الداخلى : هو النص نفسه.

✓ السياق الداخلي، السياق اللفظى، أو سياق المقال

- مثل قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾ [مريم : 24] ، قال ابن جرير أن الراجح أنه عيسى عليه السلام لقول الله -عز وجل- بعد ذلك ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ يعنى كلموه لأنه كلمها قبل ذلك، فاستدل على المعنى من السياق.
- لماذا ختم آيات السرقة بـ﴿عَزِيزٌحَكِيمٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِۗوَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنبياء : 77]؟ ختم بذلك لأن السياق تهديد ووعيد والحد للسارق وذلك يعطيك السر في إختيار هذه اللفظة.
- مثلا لماذا أختار الله تعالى لفظة وَالضُّحَىٰ، ولم يقل "والليل" ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى : 1،2]، قدم الضحى لأن السياق في الدلالة على تبشير النبى -صلى الله عليه وسلم-.

- في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، لماذا أختار لفظة أَعْطَيْنَاكَ؟ لأن السياق في العطاء بالإمتنان وهو منح من الله -عز وجل- لنبيه.
- قول الله -عز وجل-: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: 2]، لماذا اختار وَانْحَرْ؟ للدلالة على أن السياق فيه عطاء كثير فناسب ذلك.

أنظر كيف نستنطق من السياق معانٍ ودلالات، هذا في هذا السياق اللفظى، وهناك سياق اسمه سياق المقال والمقام، المقال هو النص والمقام هو أحوال النزول.

✓ **السياق الخارجي، سياق المقام، أو أحوال النزول**

- خذوا مثلاً في أحوال النزول، سورة يوسف، لو نظرنا إلى السورة فإننا نجد أن المقام في نزولها في حال يأس وفي حال شدة النبى -صلى الله عليه وسلم- فجاء السياق في سورة يوسف باعث للنبى -صلى الله عليه وسلم- على التسلى بهذا النبى، ولذلك تأملوا السياق، ورد فيه سجن، وورد فيه فَقْدٌ، و حال النبى -صلى الله عليه وسلم- فيه فَقْدٌ وسِجْنٌ، سجن في الشعب و فُقدانُه لعمه وزوجته في عام الحزن كلها حدثت في عام واحد .
- أيضاً في سورة الحجرات، السياق المقامى وهو السياق العام أو سياق النزول والأحوال، السورة نزلت في عام الوفود، عام الوفود هو العام الذى وفدت فيه الأعراب إلى المدينة بعد الفتح، فجاءت بأخلاقها وطبائعها، فجاء السياق في السورة في الآداب والأخلاق و تقوية الإيمان فقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14].
- فمعرفة السياق، أيها الأخوة، السياق المقامى أو المقالى بابٌ عظيم في فهم كتاب الله -عز وجل- وأنا اعتبره من أهم الدلالات اللغوية التى يغفل عنها الكثير من الناس، فالنظر في السياق المقامى والسياق المقالى فتح، ومفتاح كبير من فتوحات الفهم لكتاب الله عز وجل.
- وفي سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، فقد سبقها أولا التعريف بالمعبود، لاحظوا السياق، جاء أولاً بالتعريف بالمعبود، ثم الإقرار له بالعبودية، ثم سؤال الله طريق العبودية الصحيح، ثم سؤاله السلامة من طريق المخالفين. سياق متناسق. ثم تأملوا اللفظ في هذه السورة كيف جاء؟ جاء بما يوافق كمال العبودية فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، بالألف واللام، ثم جاء بأكمل الأسماء لله تعالى وهى أربعة (**الربوبية "رب"، الألوهية "الله"، الرحمة "الرحمن الرحيم"، والمُلْك "مالك"**) لمناسبة السياق وهو كمال العبودية لله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ثم قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فجاء بلفظ الجماعة "نعبد" وهو أكمل في العبودية وقدم الضمير "إياك" (ضمير الفصل) دل على الخصوصية.

- فتأمل، كل ذلك يدل على أن السياق هو التفسير، حقيقةً السياق يأخذك من أول اللفظة إلى آخرها في سياق واحد بتكامل ومعانى ودلالات هدايات واستنباطات، وهذا باب يحتاج منكم إلى استقراء و إلى بحث و إلى نظر وعناية واهتمام.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم العمل الصالح والعلم النافع وبارك الله فيكم وإلى لقاء آخر مع دلالات الأفعال أو بمعنى آخر دلالات الألفاظ وما فيها من علم غزير في الإستنطاق والإستنباط .

وفق الله الجميع لما يحب و يرضى وصلي اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ،والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات:

صفاء بودي

أخت في الله

قام بالمراجعة والتدقيق:

خلدون الأتاسي

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي:

رئيفة درويش



أصول التدبروطرق الاستنباط

د/ محمد عبد الله الربيعة

المحاضرة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وحياكم الله أيها الأخوة والأخوات مجددا. ما زلنا معكم حول مفاتيح وقواعد التدبر والإستنباط، ووصلنا إلى العمق وهو: دلالات الاستنباط.

دلالات الإستنباط

الدلالات هى الطريق إلى معرفة، أو الوصول إلى الإستنباط. فالإستنباط لا يكون إلا من خلال أدوات لغوية وأصولية معلومة، وإلا فلا يجوز أن يجترىء الإنسان على كتاب الله -عز وجل- إلا بمعرفة هذه الأدوات والدلالات. الدلالة هي أن يكون فى النص دليل وقرينة يلزم منه العلم بمدلول هذا النص. إذًا، هذا المدلول الذى استنبطناه لا بد أن يكون منطلقًا من، أو مبنيًا على قرينة أو دليل فى النص، وهذه هى الدلالات. فالدلالات هي أن يكون فى الآية دلالة يستنبط منها ما يستنبط من معان وأحكام، وهى دلالات غالبًا متعلقة بالاستنباط.

✓ **دلالة الألفاظ الوضعية** (دلالة النص) على نوعين: دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم.

1. دلالة المنطوق: هى ما دل عليها اللفظ فى محل النطق. قال تعالى: {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**} تدل على فرضية الصيام. إذًا، منطوق الحكم هنا صريح الدلالة، وهذا سيأتى تفصيلا.
2. دلالة المفهوم: وهى على أنواع: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة، هكذا قسمها أهل الأصول بهذا التقسيم. ولعلنا إن شاء الله تعالى نفصل في ذلك.

نبدأ بإذن الله تعالى من دلالة النص بدلالة المنطوق.

1. دلالة المنطوق:

دلالة المنطوق هى ما جاء الحكم والمعنى فى النص منطوقا ظاهرًا، غير مفهوم وإنما هو ظاهر، مثلا {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ**}، {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**}، الأمر بالتقوى في {**اتَّقُوا اللهَ**}، {**قُلْ هُوَ اللهُ اَحَدٌ**}، وحدانية الله. النص المنطوق الظاهر هذا لا يحتاج إلى استنباط، هذا هو عامة أحكام القرآن وهو الغالب، وهذا لا يدخل معنا ابتداءً وإنما يدخل معنا من باب أنك تستخرج من هذه الآيات دلالات ظاهرة وغير ظاهرة. فمثلا تقول فى قول الله -عز وجل- { **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**}، إثبات وحدانية الله، أنت متدبر فى هذا لكن لست مستنبطا، أنت متدبر بحيث أنك وصلت إلى الدلالة الظاهرة الصريحة فى النص. وكتاب الله -عز وجل- غالبه كذلك، الأصل فيه كذلك، وإلا لا تنقضى عجائبه بدلالات مفهومه وإشاراته وإيماءاته وعباراته وغير ذلك؛ وإنما نحن نبتدىء

بالخطوة الأولى في الدلالات وهي دلالة المنطوق، ودلالة المنطوق نفهمها ظاهرا، بحيث لا يختلف عليها اثنان. خذ مثلا قول الله -سبحانه وتعالى-: **{يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ}** هنا الأمر بوجوب عبادة الله، وقوله تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}** أيضا أن العبادة لا تكون إلا لله -عز وجل-. كيف أخذنا هذا؟ لأنه تعالى قال: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}**، فتقديم ضمير الفصل يدل على ذلك، فهذا يدل على هذه الدلالة الظاهرة.

أظن هذا يسير لا يحتاج إلى مزيد بيان وهو الذي ينبغي للمتدبر أن يقف عليه أولا، وهي دلالة النص، لأنها هي الدلالة الأولى، رقم واحد، هي الدلالة التي لا يختلف فيها ولا تحتمل غير ذلك، في الظاهر وفي الأصل لا يختلف عليها اثنان، فلذلك أول الطريق للتدبر لنا، لأنفسنا خصوصا ولعامة الناس هو التدبر بهذه الدلالة، فعامة الناس يحتاجونها لأنها تعلمهم الدلالات وحقائق القرآن الظاهرة، لأن الله تعالى قال: **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}**، **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}** فإذا كان ميسرا وأمرنا بالتدبر فمعنى ذلك أنه ظاهر متيسر، هذا هو التدبر الذي ذكرناه، في الدروس السابقة، المرتبة الأولى في التدبر وهو التدبر العام الذي يدخل فيه عامة الناس، وهلم جرا، أنك تقرأ كتاب الله -عز وجل- وتقف على دلائله وحقائقه ودلالاته المنطوقة.

2. **دلالة المفهوم:** هذه هي النقطة الثانية وهي واسعة جدا، بمعنى أنه يفهم من هذا النص كذا، وهي على قسمين: **دلالة موافقة ، ودلالة مخالفة**. كيف ذلك؟ نعطي أمثلة:

- قول الله -عز وجل- **{وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}**، هنا دلالة النص الصريحة الظاهرة أنك لا تقل أف، ولكن السؤال المهم جدا الذي يجعلنا نقول أن كتاب الله يستلزم النظر إلى دلالات أخرى هو: وأنت ترى هذا النص هل ألا تقول لهما أفٍ هو مقصود الآية الأصلي؟ ليس هذا مقصود الآية الأصلي، فمقصود الآية الأصلي أنك لا تقل لهما أدنى الأمور في الإساءة، هذا هو المقصود، وليس المقصود: لا تقل لهما أفٍ وقل ما تشاء! هذا لا يفهمه عاقل أبدًا في كتاب الله -عز وجل-، أي انسان يفهم اللغة العربية ويفهم مقاصد الشريعة لا يظن أن ذلك مقتصرٌ على قضية النهي عن الأف. لذلك نقول أن مفهوم النص هنا مفهوم الموافقة، بمعنى: لا تقل لهما كلاماً سيئاً، لا تلعنهما، لا تقل لهما كفرا، لا تقل لهما ما يحزنهما، لا تقل لهما ما يضيق صدورهما، إلى غير ذلك. إذًا، وسعنا دلالة النص إلى دلالة المفهوم، والمفهوم هنا هو المقصود في الواقع، لذلك نقول أن بعض الآيات قد يكون المقصود بها المفهوم قبل النص، هذا اسمه مفهوم الموافقة.
- فإذا قلنا أن مفهوم الموافقة في قوله تعالى **{ وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}** هو ما سبق، فمفهوم المخالفة هو: قل لهما قولا كريما، ولذلك جاءت في الآية: **{قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}**، قل لهما كلمة طيبة، قل لهما أمرا حسنا، قل لهما ما يسرهما.
- إذًا، أخذنا من هذه الآية نصًا وهو أنك لا تقل لهما أدنى الأشياء، ثم لا تقل لهما أعلى الأشياء إساءةً، ثم بمفهوم المخالفة قل لهما قولا حسنا، كريما، طيبا، مباركا.

- حقيقة هذا الأمر أيها الأخوة واسع ولكن في بعض الآيات تحتاج إلى نظر، مثال ذلك: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}**، النص الصريح المنطوق هنا أكل الربا، والصريح الصريح هو الأكل، ولكن أيضا هذه الآية ليس المقصود بها أصلا هو قضية الأكل، وإنما عبر بالأكل لأنه غالب أو ظاهر، أو يعبر عنه في اللغة عبارة عن أخذ الأشياء **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُم}**، ليس مقصود الأكل هو تناول المال، لأن غالب المتناول قد يكون بيعا وشراءً وغير ذلك، لكن في النهاية مآله إلى شيء ينفع الإنسان. فقوله تعالى **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا}** لو حصرناها على النص المنطوق فقط لخرج من ذلك معاملات مالية ربوية كثيرة جدًا لا حدود لها، لكن نقول أن المقصود هنا ليس فقط الأكل، فيؤخذ من مفهوم الموافقة **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا}** هم الذين يجمعون الربا، الذين يتعاملون بالربا، الذين يحلون الربا، كل ذلك داخل في مفهوم هذه الآية. إذًا أطلق عنانك في مفهوم هذه الآية بما يوافق أصلها، منطوقها، لاحظ المنطوق الأكل، هو التناول، ولكن كل شيء يصل إلى قضية الربا فهو حرام، بأي تعامل كان، سواء كان بالكسب أو بالأكل أو بالإهلاك أو بغير ذلك. هذا مفهوم الموافقة، مفهوم المخالفة للذين يأكلون الربا: الذين يأكلون البيع، الذين يأكلون الحلال، إذًا هذا مفهوم المخالفة، وكل آية فيها كذلك.
- وخذ مثال على ذلك أيضا قول الله تعالى: **{إِيَاكَ نَعْبُدُ}** **مفهوم الموافقة**: إياك نصلي، إياك نزكي، إياك نتعامل، كل ذلك داخل في موافقة الآية. **ومفهوم المخالفة**: لا نعبد غيرك، لا نعبد سواك، وأن عبادة غير الله باطلة، وأن من أشرك بالله شيئا فليس مخلصًا وليس بعابدٍ لله -عز وجل-، ولذلك قال الله تعالى **{إِيَاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِين}**.
- وقول الله تعالى: **{الَّذِينَ يَأْ كُلُونَ أَمَوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا}** تجد واحد يقول لك: أنا ما أكلت مال اليتيم لكني تصرفت فيه في بيع وشراء وكسب وغير ذلك، أسألكم هل هذا يقوله عاقل؟ لا يقوله إلا انسانٌ صاحب هوى **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}** يعني اقترفوا وتناولوا واجترأوا على أموال اليتامى بأي وسيلة، وإنما عبر بالأكل لأنه الغالب أو استخدام العرب لهذا الأسلوب.
- يعني مثلا نستطيع أن نقيس دلالة المفهوم، **فدلالة المفهوم من دلالات القياس وليست من دلالات النص الصريح المنطوق**، فنحن نقيس على هذه، فمثلا قوله تعالى: **{وَلَا تَتَبِعوا خُطُواتِ الشَيطَانِ}**، نقيس على هذه الآية وندخل فيها بمفهومها، لا تتبع أسباب الزنا، لا تتبع طرق أكل الربا، لأنها خطوات، شبهات بعضها يصل إلى الحرام، فندخل في ذلك كل ما يتعلق بصورة من صوره، لذلك في الواقع دلالة المفهوم يمكن أن نعبر عنها بقضية صور لها في الواقع، ما نفهمه من هذه الآية.

- ومثلا قوله تعالى: **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}** أى الخير الكثير، نفهم منه أن الله تعالى أعطى نبيه -صلى الله عليه وسلم- منزلة، أن الله أعطاه علمًا، وأعطاه معجزةً عظيمة، وأعطاه أمةً عظيمة، وأعطاه قبلةً عظيمة، كل ذلك نفهمه من هذه الآية، وأن قوله تعالى يدل على ذلك، لكن الآية ليس فى نصها أن الله تعالى أعطاه خير قبلة، أو أعطاه منزلة، لكننا فهمناها من النص، لذلك قلت لكم أيها الأخوة أن **دلالة المفهوم واسعة**، **دلالة النص الصريح المنطوق ضيقة فى النص**، والقرآن لا يمكن أن يُحَد، ولكن لاشك أن الذى نُطق به هو الأولى.
- قال تعالى: **{وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}** هذا نص صريح فى المتعة للمطلقة، فنحن ننظر إلى النص بدلالته الظاهرة، ثم ننطلق إلى المفهوم، وهذا باب عظيم واسع فى الاستنباط وباب التدبر حقيقة.
- خذ مثال حينما يقول الله -عز وجل- **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}** صور التكاثر نفهم منها التكاثر فى المال، ونفهم منها التكاثر فى الأولاد، ونفهم منها التكاثر فى البنيان، إلى غير ذلك، المهم أنه يفهم من ذلك مفهوم موافقة ومخالفة، لو قلنا مفهوم المخالفة فى قول **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}** أى بأمور الدنيا، فمفهوم المخالفة هنا أنك تتكاثر بأمور الدين والعلم وأمر الآخرة، أو مفهوم المخالفة هنا أنك لا تتكاثر بالدنيا.
- ولذلك الحقيقة أيها الأخوة دلالة المفهوم تحتاج منا إلى نظر، أن ننظر إلى الآية بسعة ما تدل عليه، وننظر إلى خلاف ما تدل عليه، فنجعل ذلك من دلالات الآية. إذًا، **لا شك أن من دلالات الآية أن نرى ما يوافق ويخالف** ، قد يعترض علينا معترض فيقول المخالف ليس من دلالات الآية، فمثلا **{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ}** هذه كلمة لاتدل فى دلالتها على تحريم الربا، نقول: بلى لأن هذا مستلزم من لوازمه عليك، أن الله أحل البيع وحرم ما سواه مما يخالفه، ولذلك قال بعدها وحرم الربا.

✓ **دلالة الإشارة:** هى دلالة واسعة وهى أوسع دلالة، هى التلويح بالشىء ليفهم منه شىء معين، أو يفهم منه أشياء أخرى، وهو دلالة اللفظ على معنى أو حكم ليس هو المقصود الأصلى، وإنما هو لازم من لوازمه، فمثلا:

- فى قول الله -عز وجل- **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}**، من لوازمه التى نفهمها، وهى طبعا داخلة فى المفهوم وداخلة فى الإشارة، لكن من لوازمه: إنا أعطيناك الخير الكثير وتمكين أمة الإسلام، وهذه إشارة بعيدة، **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}** فهو تعالى أعطاه أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة، وأعطاه فى دينه ما بلغ الليل والنهار، فذلك دليل يشير بعد ذلك إلى تمكن الدين. طبعا هذه إشارة غير واضحة، لكن الآية تستلزمها. قال الشنقيطى رحمه الله فى دلالة الإشارة وهى من أهم الدلالات وأكثرها ارتباطا بالتدبر والاستنباط، قال: "هى دلالة اللفظ على معنى ليس مقصود فى الأصل، لكنه لازم للمقصود"، فكأنه مقصود بالتبع لا بالأصل.
- مثال قول الله -عز وجل- مثلا **{فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}** كلنا يفهم فلنولينك بمعنى فلنوجهنك، لكن هذه الآية تشير إلى أشياء أخرى، تشير إلى تمكين النبى -صلى الله عليه وسلم- من البيت، قوله فلنولينك أي

تكون واليًا، وتشير أيضا إلى فتح مكة، الإشارة بعيدة لأنه يستلزم من تمكن النبى -صلى الله عليه وسلم- من توجه القبلة ومن تمكنه أن تفتح مكة، ومن إشاراته زوال أمر قريش والشرك. لاحظوا هذا ليس نصاً في الآية، وإنما هو من لوازمه، فأنت إذا وقفت على المعنى الأصلى ما أخذت إلا المعنى الأصلى: فلنوجهنك، لكنك إذا نظرت إلى ما يشير إليه هذا اللفظ بشرط أن يكون مرتبطًا باللفظ بدلالةٍ، وبلزومٍ فهو يسمى بدلالة الإشارة.

- خذ مثلا قوله تعالى {**إِذَا جاءَ نَصْرُاللهِ والْفَتْحُ * وَرَأَيتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجَا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا**} فى الآية إشعار للنبى -صلى الله عليه وسلم- بقرب أجله، وهذه إشارة ما يفهمها الإنسان بقراءة عابرة، ولذلك كبار الصحابة حينما قال لهم عمر -رضى الله تعالى عنه-: ما تقولون فى {**إِذَا جَاءَ نَصْرُاللهِ والْفَتْحُ**} قالوا أُمرنا إذا فُتِح علينا ونُصِرنا أن نسبح ونستغفر الله، قال: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنه-: هو إشارة إلى أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
- أيضا من الأمثلة قوله تعالى: {**والَّضُّحَى * وَاللَّيل إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُكَ وَمَا قَلَى**} نازلة هذه الآية فى تأنيس النبى -صلى الله عليه وسلم- بالوحي، وأن الله معه {**مَا وَدَّعَكَ رَبُكَ وَمَا قَلَى**}. لفظة الضحى ماذا تدل عليه؟ تشير إلى إشراق أمة الإسلام، وأن دينك يا محمد وهذا الأمر الذى أنت عليه وهذا الوحى سيكون له إشراقٌ فى الدنيا. هذه إشارة، من أين أخذناها؟ أخذناها من القَسَم بوقت الإشراق، لو أقسم الله تعالى هنا بالغروب لكان دليل على نهايته، لكنه أقسم بالبداية و بوقت الإشراق فدلنا ذلك أنه إشارة على ما بعد ذلك. هذه أيها الأخوة تحتاج منا إلى نظر.
- ومثال على ذلك أيضا، قال الله تعالى: {**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحَا**}، فهذه الآية تشير إلى أين أنت أيها الإنسان مقارنةً بهذا الخيل؟ إشعار للإنسان بواجبه، وأنه إذا كانت الخيل سائرة للجهاد فأين أنت؟ هذه دلالة الإشارة فى الآية، تشير إلى ذلك بقوله العاديات التى تعدو إلى الجهاد، ولذلك قال: {**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِهِ لَكَنُودٍ**}.
- أيضا فى دلالة الإشارة الأحكام وهذه كثيرة، مثلا فى قوله تعالى {**وَحَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرَا**} أى الحمل والإرضاع ثلاثون شهرا، وأيضا {**وَالْوَلِدَاتِ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**}، هذه حولين أربعة وعشرون شهرًا، وهذه مع الفصال ثلاثون شهرا، إذًا، باقى بعد الإرضاع ستة أشهر، فدل ذلك على أن أقل مدة للحمل ستة أشهر بالإشارة، كأن النصين يشيران إلى هذا.
- في قوله تعالى: {**كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**}، هذه الآية تشير إلى أن الأكل والشرب حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، والخيط هنا يشير إلى بداية الفجر.

- في قوله تعالى: **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ}**، لاحظوا أنه سماهم فقراء لاستيلاء المشركين على أملاكهم، فدل على نزع صفة الملكية عنهم، وتسميتهم فقراء لأن الفقير هو الذى لا يملك شيئا.
- هذه إشارات ،أيها الأخوة، لكن **المهم جدا فى دلالة الإشارة أن النص يدل عليها بلزوم، فهى من لوازم النص**. والواقع أن هذا العلم يحتاج إلى تأمل ثاقب، وهناك رسالة دكتوراة فى دلالة الإشارة للدكتور عبد الله العمرى، أوصيكم وأنصحكم بالنظر إليها وقراءتها.

وفق الله الجميع لما يحب و يرضى وصلي اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ،والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات:

أخت في الله

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي:

رئيفة درويش



أصول التدبر وطرق الاستنباط
د/ محمد عبد الله الربيعة
المحاضرة الخامسة عشرة

الحمد لله رب العالمين، و صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. حياكم الله أيها الإخوة والأخوات، ولا زلنا معكم نتحدث فيما يتعلق بمفاتيح التدبر والاستنباط.

بعد أن تكلمنا عن دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم بقسميه المخالفة والموافقة، ودلالة الإشارة، وهي الواسعة، أريد قبل أن نتحدث عن دلالات أخرى، أن أعقب على قضية دلالة الإشارة، وما الفرق بينها وبين التفسير الإشاري.

الفرق بين دلالة الإشارة والتفسير الإشاري

- دلالة الإشارة هي دلالة من لوازم النص، بمعنى أن النص يشير إليها بلوازم، مثل قول الله -عز وجل-: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ...﴾[البقرة:144]، من لوازمه أن الله سيمكن دينه، هذا من اللوازم، يعني تدل لفظة "فلنولينك" أنك توليت هذه القبلة، ووليت عليها، فمن لوازمه أن تتمكن في الدين.
- **دلالة الإشارة** أو دلالة اللزوم، أو دلالة المفهوم، ليست دلالة قطعية، إنما **هي دلالة اجتهادية**، قد تخالفني أنت في دلالة استنبطتها من دلالة الإشارة. أما الدلالة التي لا نختلف عليها فهي دلالة المنطوق.
- **دلالة المفهوم** أحيانا تكون ظاهرة مثل قوله -تعالى-: ﴿... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:23]، فكلنا نتفق على أن المقصود - ليس قول لفظ "أف" فقط- وإنما المقصود كل ما يوافق ذلك من إساءة القول، فقد تكون قطعية وقد تكون غير قطعية، ولكنها أقل من دلالة المنطوق، والأقل منها بالنسبة لليقين والقبول والاتفاق هي دلالة الإشارة، دلالة الإشارة بعيدة، ولذلك نختلف فيها.
- يعني مثلا حينما يقول الله -تعالى- "فلنولينك" تدل على تمكين أهل الإسلام، قد تقول أن الآية غير دالة عليه ظاهرا، هي دالة على قضية القبلة، السياق في القبلة، ففيه خلاف لكنها ظاهرة، أقول هي ظاهرة لأن الله -عز وجل- لم يقل "فلنوجهنك" بل قال "فلنولينك"، والتولية للكعبة لا شك أنه دليل على تمكن الإسلام وانتشاره، فهي حقيقة تحتاج للاجتهاد، ولذلك يقع فيها الخطأ كثيرا. فدلالة الإشارة يقع فيها الخطأ كثيرا، والاجتراء على كتاب الله من خلالها عظيم، ينبغي للإنسان أن يتوقف فيها.
- أما التفسير الإشاري: التفسير الإشاري يمكن أن نعبر عنه بأنك تعبر عن الآية بما يستحضرك من معاني وتصورات مرتبطة بالآية من وجه في ألفاظها، لكنها ليس لها علاقة في دلالات الآية. يعني مثلا حينما يقول بعض الفرق الغالية من الصوفية في قول الله -عز وجل-: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:99]، أن الإنسان يعبد ربه حتى يصل إلى درجة من الدرجات العليا في الدين ثم تنتهي التكاليف عنه، فقد وصل إلى

مرحلة عليا، فله أن يفعل ما يشاء، هذا خطأ. هم أخذوها من دلالة الإشارة وجعلوا منزلة اليقين، وقالوا هنا منزلة العبودية التامة بعدها تنتهي التكاليف.

- مثال على ذلك في التفسير الإشاري حينما يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج:26]، قال بعضهم أن معناها: طف بقلبك في أرجاء الكون، واعكف بحالك بين يدي ربك، واركع بفكرك وعقلك، واسجد بتذلك. هذا طبعا هم يسمونه تفسيرا إشاريا، أخذوه من الألفاظ ولكنهم انتزعوه بألفاظه دون معانيه، فالمعاني لم ينظروا إليها، والسياق لم ينظروا إليه، والمقصود في الآية لم ينظروا إليه، وإنما نظروا إلى الألفاظ، وعبروا عنها بعبارات أخرى خارجة عن السياق.
- إذن، الفرق بين التفسير الإشاري وبين دلالة الإشارة: أن التفسير الإشاري يخرج الكلام عن سياق الآية تماماً، يقطع السياق،فالسياق مثلا في الآية السابقة في الطواف بالبيت، السياق في بناء البيت، أخرجه إلى قضية طواف القلب؛ وإنما عبر عنه هكذا من باب أنه يأخذ من كتاب الله -عز وجل- ما يعبر عنه بأساليبه. طبعا لا أحد يستطيع أن يقول أن هذا تفسير، أو أنه داخل في التفسير، ولا داخل في الاستنباط أصلا. ولذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- يقول أن ما ورد عن السلف، وقد ورد عن السلف شيء من ذلك، هم لا يريدون التفسير ولا يريدون أن يكون هذا من دلالة الآية، وإنما هو من مشاعرهم ومن استشعارهم للنص أو للآية ونصها، انطلقوا منه في قضية مشاعر حول الآية. يعني نستطيع أن نقول هي مشاعر حول الآية. **التفسير الإشاري هو مشاعر حول الآية**، قد تكون باطلة وقد تكون حقا. يعني طف بقلبك في أرجاء الكون في التأمل والتفكر هذا صحيح، لكن ليس من دلالات الآية لا نأخذه من الآية، وربط الآية به خطأ.
- ولذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- يقول أن التفسير الإشاري قد يكون صحيحا مقبولا، وقد يرد عن السلف التابعين خاصة، فالصحابة لا أعرف أنه ورد عنهم به شيء، لكنه قد يرد في ذلك عند التابعين. أبي عبدالرحمن السلمي له كتاب ***حقائق القرآن***، كله في التفسير الإشاري وهو من التابعين، فدلك ذلك على أن هذا الأمر لا يريدون فيه تفسيرا، وإنما يريدون فيه - مثل ما نقول- مشاعر حول النص وليس تفسيرا، وهذا مما ينبغي للإنسان أن يقف فيه، لأنه حقيقة يخرج الآية من سياقها، وإخراج الآية من سياقها خطأ، حينما تأتي بالآية وتضعها في غير سياقها فقد بدلت وغيرت، ولذلك لا ينبغي أن يستخدم القرآن في غير ما وضع له.
- مثلاً قول الله -عز وجل-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:60]، لا تذهب وتستخدمها أو تجعلها في الاستعداد لمقاتلة المسلم، هذا غير صحيح، افلسياق في مقاتلة الكافر "وأعدوا لهم" للكفار، فلا تقل "أعدوا لهم ما استطعتم من قوة" للذين عادوك في منهجك، هذه

مصيبة. إذن، هذا خطأ، وهذا ليس داخلاً في الآية أبدا ولا يستنبط منه، وهذا سيأتي في أخطاء التفسير كما سيأتي بعد قليل، كيف أن الإنسان يعتقد ثم يستدل.

- الشاهد، بارك الله فيكم، أن دلالة الإشارة هي دلالة مرتبطة بالسياق ولكن من لوازم الآية البعيدة، والتفسير الإشاري هو خارج السياق ولكنه حول النص، حول اللفظ فقط دون السياق.
- والتفاسير الإشارية في حقيقة كثيرة، منها ما هو مشهور ومقبول، بمعنى مشهور عند الناس مثل ***تفسير الألوسي*** فيه تفسير إشاري كثير، ومشهور أنه تفسير إشاري،منه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود، والذي هو مردود هو ما خرج عن سياق الآية وهذا هو الضابط، خرج عن سياق الآية فهو مردود أن يكون تفسيرا.

✓ دلالة الاقتران

ننتقل إلى دلالة أخرى وهي دلالة الاقتران: وهو أن يُجمع بين شيئين في سياق واحد يؤخذ منهما دلالة، يعني لم نأخذ الدلالة من هذه ولا من هذه، بل أخذناها من اجتماعهما، وهي كثيرة في كتاب الله عز وجل. وأمثلة ذلك:

- قوله -تعالى-: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:36]، قرن بينهما، دل على أن العبادة الحقيقية لا تكون إلا بشيئين: تعبد الله وحده وتترك ما سواه، لاحظ لو قال واعبدوا الله فقط، نعبد الله ونصلي ولكن نشرك!، الآية تقول: لا، العبادة الحقيقية أنك تعبد ربك ولا تعبد سواه.
- قوله -تعالى-: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة:5]، دلالة اقتران هنا بين الشيئين أليس كذلك؟ دل على أن العبادة لا تكون إلا بالاستعانة بالله عز وجل، يعني عبادتك لله لا بد أن تكون مبنية على الاستعانة بالله، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. لاحظ دلالة الاقتران أخذناها من أنك لو قلت "إياك نعبد" وحدها ما دلت على هذه الآية ظاهرا.
- قوله -تعالى-: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ في أكثر من موضع في القرآن الكريم، دل على أن هذين العملين عظيمان، ومتحدان في الحكم، وهما فرضية، ولذلك الصلاة والزكاة من أركان الإسلام، ليس واحد مسنون وواحد واجب.
- قوله -تعالى-: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أخذوا منه حكماً، ولكنه فيه خلاف، فقالوا إن الصبي الصغير ليس على ماله زكاة، بدلالة اقتران قوله وأقيموا الصلاة مع الزكاة فهو لم تفرض عليه الصلاة ولا يطالب بها، فكذلك لا يطالب بالزكاة، وهذا خلاف للصحيح أن كل مال مملوك فعليه زكاة، ولكن هذا استنباط مأخذ الرد والقبول فيه بناء على الأدلة الظاهرة الصريحة الأخرى.
- قوله -تعالى-: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8]، تأملوا هذا النص وخذوا منه دلالة الاقتران، ماذا نأخذ من اقتران الخيل بالبغال والحمير؟ أخذوا منها دلالة حرمة لحم الخيل كحرمة لحم الحمير لاقترانهما في الآية، الحمير الأهلية لا يجوز أكلها أما الحمر الوحشية فيباح أكلها، فدل

على أن الخيل مشابهة للحمير، اولبغال كذلك. أيضا أخذوا من هذا أنه لا زكاة في الخيل فلا تقارن ببهيمة الأنعام وإنما قرنت بغير ذلك، كما أن الحمير لا زكاة فيها، فلو أنك جمعت ألف حمار وملكتها واستخدمتها، لا زكاة فيها إلا أن يكون تجارة، يعني أن تكون بضاعة تجارة تشترى وتباع فهذه عليها زكاة لكونها عروض تجارة، أما الحمار بذاته لو كان عندك أربعين حمارا تستخدمها في الخدمة ليس عليها زكاة، فأخذوا من ذلك أن الخيل ليس عليها زكاة بدلالة الاقتران. مع أن دلالة الاقتران دلالة ضعيفة حقيقةً، دلالة ضعيفة ما تدل عليها، لأنها دلالة بعيدة عن النص الصريح المنطوق ولذلك قلنا لكم أن دلالة القرب والبعد بحسب "نصية الأمر وقربه".

- قوله -عز وجل-: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ...﴾ [البقرة:196]، لاحظوا أخذوا من هذا وجوب العمرة، لأن الحج واجب، فرض، فكذلك العمرة فرض في العمر مرة لقوله -تعالى-: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ..﴾، أن الله قرنهما وأمر بإتمامهما.
- فهنا مسألة وهي: **متى تكون دلالة الاقتران قوية ومتى تكون غير قوية؟** دلالة الاقتران تكون قوية إذا كان الاقتران في جملة واحدة، مثل قوله -تعالى-: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ..﴾، فهذه جملة واحدة، فهذا دلالة الاقتران فيه ظاهرة بوجوب العمرة، لأن الله قرنها بجملة واحدة وهي "أتموا".
- لكن قد يكون الاقتران في جملتين مثل قوله -تعالى-: ﴿....فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:28]، الإطعام بالنسبة للهدي واجب، فهل الأكل واجب؟ أخذوا من ذلك أنه واجب قياساً على اقترانه بالإطعام، ولكن نقول أن هذه الجملة مستقلة وهذه الجملة مستقلة، فهذه لها حكم وهذه لها حكم، يعني لا يلزم، أقول لا يلزم، قد يستنبط ولكنها بعيدة.
- دلالة الاقتران دلالة عجيبة جداً، وذلك لأن كتاب الله عز وجل أحكمت آياته ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1]، فانظر إلى كل ما اقترن وحاول أن تلتمس منه دلالة. وأمثلة أخرى:
- قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:51]، "كلوا من الطيبات واعملوا صالحا"، طبعا هاتان جملتان مستقلتان، كل جملة مستقلة، وأنا قلت لكم أن الجملة إذا كانت مستقلة فإن دلالة الاقتران فيها أضعف، لكن قد نأخذ مثلاً من ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: أن الإنسان ينبغي كلما زاد في أكله أو بما أنعم الله -تعالى عليه-، ينبغي أن يزيد في عبادته، فكلما أنعم الله تعالى عليك من النعم والخير فزد من الطاعات. أيضا نأخذ من هذه دلالة الاقتران وهي: شكر الله -تعالى- على هذه النعم، ونأخذ من هذه الآية أن شكر النعم يكون بالعمل ليس بالقول فقط، كل هذا من دلالة الاقتران. دلالة الاقتران عجيبة في الدلالات، في استنباط لطائف، لطائف جميلة جدا جدا.
- قوله -تعالى-: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]، لاحظ في قوله -تعالى- ﴿...خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا..﴾، ما هي

علاقة الأكل والشرب في قضية "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد". هي دلالة غير ظاهرة حقيقة، التمس منها أنت حقيقة أمر، وهو أن الله -عز وجل- أمر بالزينة في المساجد، والتي فيها الإنسان يحبها ويتوسع فيها، ولكن اربطها بعبادة الله، "خذوا زينتكم عند كل مسجد" فكأن الله -تعالى- يقول اجعل زينتك لله ليس للناس، صحيح أنك تتجمل ليراك الناس، ولكن أيضا ليكن تجملك كذلك كما أمر الله -تعالى-، فلا تتجاوز بالحرام، ولا تلبس حراما، ولا تتزين بحرام، ولا يكون ذلك للمفاخرة والرياء والكبر وغير ذلك، ولذلك كان الإسبال مذموما، لأنه يبعث على الخيلاء. ثم قال "كلوا واشربوا" أيضا استمتعوا بما متعكم الله -عز وجل- من الأكل والشرب، ولكن اجعلوه لله، ولذلك قال بعدها "ولا تسرفوا" فقرن الله -تعالى- اللباس بالأكل، لأنهما مما يستمتع بهما الإنسان. وهذا من لطافة وبلاغة القرآن، وحقا أنه قرآنا عجبا، إنه يأتيك الشيء والشيء.

- قول الله -تعالى-: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:26]، أولا ابحث عن وجه الاقتران بين "أنزلنا عليكم لباسا وريشا" ما الفرق بينهما، وما دلالة الاقتران بينهما؟ أن اللباس هو اللباس الأصلي الذي به الستر، والريش (قيل الرياش) والريش هو الزينة أو الأثاث، الشيء الزائد يعني الذي فيه تزين كالأثاث، يعني مثلا أنت عليك الآن عدة طبقات من الثياب، ثياب داخلية هذه التي فيها الستر وثياب خارجية هي التي فيها الزينة، الثياب الخارجية من الشماغ (غطاء الرأس للرجال) وغيرها هي التي فيها الرياش، ثم قال "ولباس التقوى"، لاحظ هذا الاقتران أن هذا اللباس يجب أن يقترن بالتقوى، ومن لباس التقوى لباس الوقار، لباس العفة، لباس الحياء كل هذا لباس تقوى. إذن قرن الله -تعالى- بينهما حتى يجمع الإنسان بين اللباس الحسي و اللباس المعنوي.

أرأيتم أيها الإخوة لطافة هذه الدلالة، دلالة الاقتران. حقيقةً تحتاج منا إلى مزيد تأمل في كتاب الله -عز وجل-، ومن دقق في ذلك سيجد شيئاً كثيراً وفتحاً عظيماً.

نسأل الله أن يفتح لنا ولكم في فهم كتابه وبارك الله فيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات:

- **عبير معتوق شلبي**
- **رغد**

قام بالمراجعة والتدقيق: **خلدون الأتاسي**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي:

رئيفة درويش